بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد وجدت في كتاب فضيلتكم "تنوير التأسيس شرح أركان الإيمان العظام للإمام ابن باديس" أنكم اعتمدتم تعريف نجم الدين الطوفي للمعجزة[1]، وهي أنه " الأمر الممكن الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، الخالي عن المعارض"، ثم بنيتم على هذا التعريف الفرق بين السحر والكهانة وبين المعجزة، والفرق بين الكرامة وبين المعجزة.

وربما خفي على فضيلتكم أن هذا التعريف انتقده أهل السنة - خاصة فيما يتعلق بالتحدي- وأنه يلزم منه باطلة، ومن أكثر من بين هذا شيخ الإسلام ابن تيمية، وكنت قد بحثت من قبل في هذا التعريف للرد على بعض دكاترة كليتنا، وعندما وجدتكم اعتمدتموه عدلته بما يليق بفضيلتكم وأحببت أن أرسله إليكم، لعلكم تراجعون التعريف الذي اعتمدتموه، أو تصوبونني إن كنت مخطئا.

وقد كانت خطة البحث كما يلي:

المطلب الأول: أصل لفظ المعجزة وتعريفها

الفرع الأول: أصل لفظ المعجزة

الفرع الثاني: تعريف المعجزة ومن هو أول قائل به

الفرع الثالث: شرح التعريف

المطلب الثاني: نقد تعريف المعجزة

الفرع الأول: نقد شروط التعريف

الفرع الثاني: التعريف الصحيح عند أهل السنة للمعجزة

[1] ص 172



المطلب الأول: أصل لفظ المعجزة وتعريفها

الفرع الأول: أصل لفظ المعجزة

لا يوجد في الكتاب والسنة استعمال لفظ (المعجزة) أو (الإعجاز) ولا في كلام أهل القرن الأول والثاني كما قرره أهل العلم، فكان العلماء من السلف يستعملون المصطلحات القرآنية كالآية والبرهان، ثم ظهر في القرن الثالث الهجري استعمال مصطلح (الإعجاز) و(المعجزة)[2] على اختلاف في المعنى المستعمل له، وفيما يلي ذكر أول من استعمل هذا اللفظ، على أنه لا يعرف على وجه القطع من أول من استعمله:

1- إبراهيم النظام (220): قال: "الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من اللإخبار بالغيب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثه فيهم"[3]، وقوله هذا يقرر فيه القول بالصرفة ومعلوم عند أهل السنة بطلان هذا المعتقد.

2- 3- هشام الفوطي، وعباد بن سليمان والمعتزلة عموما: أشار إلى ذلك أبو الحسن الأشعري حيث قال: "والمعتزلة على نقيض قوله هذا إلا هشاما الفوطي وعباد بن سليمان، أما سائرهم فهم على أن تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم"[4].

4- عمرو بن بحر الجاحظ (255): واستعماله للفظ الإعجاز وتعريفاته مبثوث في كتبه.[5]

5- ابن الراوندي (298): وقد كان من المعتزلة ثم فارقهم وصار يناظرهم في إعجاز القرآن الكريم وألحد وتزندق[6].

ثم بدأ التأليف في إعجاز القرآن الكريم، فألف الجاحظ " حجج النبوة" و"نظم القرآن"، هذا في القرن الثالث، وفي القرن الرابع شاع التأليف فيه، فمن هذه المؤلفات: "إعجاز القرآن ونظمه وتأليفه" لمحمد بن زيد الواسطي المعتزلي،

---

[2] إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء لمحمد موسى شريف ص50 و 62

[3] مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص 225

[4] مقالات الإسلاميين للأشعري ص225 و وينظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص 65

[5] انظر: إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء لمحمد موسى شريف ص 74 وما بعدها

[6] انظر: الوافي بالوفيات ج8 ص 232

و"نظم القرآن" لأبي بكر السجستاني، و" نظم القرآن" لأبي زيد البلخي، وهو يرى رأي الفلاسفة، و"نظم القرآن" لابن الإخشيد المعتزلي، وغيرها كثير.

وأما السلف أسحاب الحديث فقد استعملوا لفظ (المعجزة) خلاف ما استعمله فيه من سبق ذكرهم، قال ابن تيمية – وهو من أهل الاستقراء التام-:

" وَالسَّلَفُ - كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ - كَانُوا يُسَمُّونَ هَذَا وَهَذَا مُعْجِزًا، وَيَقُولُونَ لِخَوَارِقَ الْأَوْلِيَاءِ: إِنَّهَا مُعْجِزَاتٌ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي اللَّفْظِ مَا يَقْتَضِي اخْتِصَاصَ الْأَنْبِيَاءِ بِذَلِكَ. بِخِلَافِ مَا كَانَ آيَةً وَبُرْهَانًا عَلَى نُبُوَّةِ النَّبِيِّ، فَإِنَّ هَذَا يَجِبُ اخْتِصَاصُهُ.[7]"

مما سبق يعلم أن أول ما استعمل فيه لفظ الإعجاز كان بمعنى الصرفة، كما في قول النظام السابق، ثم استعمله المعتزلة في وصف القرآن بأنه آية عجز الناس عن الإتيان بمثلها، وأن أصحاب الحديث استعملوه استعمالا مغايرا للمعتزلة. والله أعلم.

الفرع الثاني: تعريف المعجزة ومن هو أول قائل به:

قبل إيراد تعريف المعجزة يجب ضبط المعنى اللغوي لها.

المعجزة لغة: هي اسم فاعل من (عَجَزَ)، والعجز: الضعف، وبابه: ضرب، وأعجزه الشيء: فاته، وعجزه تعجيزا: ثبطه أو نسبه إلى العجز، والمعجزة: واحد معجزات الأنبياء[8].

تعريف المعجزة:

ذكر الطوفي في "الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية" أن تعريفَ المعجزة هو: "الأمر الممكن الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، الخالي عن المعارض"[9].

ذكر من سبق الطوفي لهذا التعريف: ونورد بعضها هنا لا على سبيل الحصر:

---

[7] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج5 ص419

[8] مختار الصحاح لمحمد بن ابي بكر الرازي مادة (ع ج ز)

[9] الانتصارات الإسلامية 286/1



ذكر الباقلاني شروط المعجزة متفرقة في كتابه "إعجاز القرآن".

وعرفها الفخر الرازي بأنها: "أمر **خارق** للعادة، مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة"[10]. وهو مطابق لتعريف الطوفي.

وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: " الْمُعْجِزَةُ هِيَ مَا خَرَقَ الْعَادَةَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ إِذَا وَافَقَ دَعْوَى الرِّسَالَةِ وَقَارَنَهَا وَطَابَقَهَا عَلَى جِهَةِ التَّحَدِّي ابْتِدَاءً بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى مِثْلِهَا، وَلَا عَلَى مَا يُقَارِبُهَا"[11].

ونسبه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النبوات إلى الأشاعرة والمعتزلة قبلهم، وحصرهم في هذا البحث عسير مستعص فأكتفي بما نقلت وبقول شيخ الإسلام وهو من أهل الاستقراء التام.

الفرع الثالث: شرح التعريف:

قال الطوفي:" فالأمر: جنس للمعجز وغيره. والممكن: فصل له عن الممتنع، إذ الممتنع لا يوجد. والخارق للعادة يفصله عن الأمور العادية كطلوع الشمس ووقوع المطر وركوب الفرس ونحوها. فإن المستند في دعوى النبوة إليها لا يثبت له شيء والمقرون بالتحدي: احتراز ممن يدعي أن معجز من قبله، دليل على صدقه هو، كما يقول إنسان اليوم: إن قلب موسى عصاه حية، دليل على صدقي في دعوى النبوة. فإن ذلك لا ينفعه، لأن معجزه ليس مقارنا لتحديه، والخالي عن المعارض: احتراز من الشعبذة والنيرنجات فإنها تعارض بمثلها، فإذا ظهر على يد شخص هذا الأمر بهذه الشروط كان معجزا وكان الشخص نبيا"[12].

قال التفتازاني شارحا تعريف الفخر الرازي: "إِنَّمَا قَالَ أَمْرٌ لِيَتَنَاوَلَ الْفِعْلَ كَانْفِجَارِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَتَنَاوَلَ عَدَمَهُ أَيْ عَدَمَ الْفِعْلِ كَعَدَمِ إِحْرَاقِ النَّارِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَاحْتَرَزُوا بِقَيْدِ الْمُقَارَنَةِ لِلتَّحَدِّي عَنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَالْعَلَامَاتِ الْإِرْهَاصِيَّةِ الَّتِي تَتَقَدَّمُ الْبَعْثَةَ النَّبَوِيَّةَ وَعَنْ أَنْ يَتَّخِذَ الْكَاذِبُ مُعْجِزَةَ مَنْ

[10] لوامع الأنوار البهية للسفاريني ج2 ص290
[11] المصدر السابق، الصفحة نفسها.
[12] الانتصارات الإسلامية ج1 ص286

مَضَـى مِنَ الْأَنْبِيَـاءِ أَوْ مَـا تَقَدَّمَ لَـهُ فِـي السِّـنِينَ الْمَاضِـيَةِ حُجَّـةً لِنَفْسِـهِ، وَبِقَيْدِ عَـدَمِ الْمُعَارَضَـةِ عَنِ السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ."

قال السفاريني: " قَوْلُ ابْنِ حَمْدَانَ: (وَطَابَقَهَا) ؛ لِيُخْرِجَ مَا إِذَا قَالَ: مُعْجِزَتِي نُطْقُ هَذَا الْحَجَرِ، فَنَطَقَ بِأَنَّهُ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَكَمَا تَفَلَ مُسَيْلِمَةُ فِي بِئْرٍ فَغَارَ مَاؤُهَا، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِ غُلَامٍ فَصَارَ أَقْرَعَ وَنَحْوُ ذَلِكَ" [13].

---

[13] لوامع الأنوار البهية للسفاريني ج2 ص290

المطلب الثاني: نقد تعريف الطوفي للمعجزة

يتم نقد التعريف بنقد شروطه واحدا واحدا، ولا يقال: من الانتقادات أن المعنى اللغوي للمعجزة لا يدل على الشروط؛ لأن استعمال لفظ المعجزة لم يكن على عهد النبي ﷺ، وليس مجمعا عليه، لذلك فبناء النتقاد على هذا الأساس إقرار ضمني لصحة استعمال هذا اللفظ وأنه مرادف لغة لكلمة (آية) أو (البرهان)، وهذا ظاهر البطلان، فلو قيل: لفظ (آية) لا يدل لغة على تلك الشروط لصح، ولا يصح ذلك في المعجزة.

وفيما يلي نقد الشروط الثلاثة:

نقد شرط خرق العادة:

ونقدها يكون من وجوه:

1- أن كون الآية خارقة للعادة هو وصف لم يصفه القرآن ولا الحديث ولا السلف، قال شيخ الإسلام: " وكون الآية خارقة للعادة، أو غير خارقة: هو وصفٌ لم يصفه القرآن، والحديث، ولا السلف.

وقد بيّنا في غير هذا الموضع أنّ هذا وصفٌ لا ينضبط، وهو عديم التأثير؛ فإنّ نفس النبوة معتادة للأنبياء، خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم.

إنّ كون الشخص يخبره الله بالغيب خبراً معصوماً هذا مختصّ بهم، وليس هو موجوداً لغيرهم، فضلاً عن كونه معتاداً"[14].

2- أن كون المعجزة خارقة للعادة ليس أمرا مضبوطا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فكونه خارقا للعادة ليس أمرا مضبوطا.

فإنّه إن أريد به أنّه لم يوجد له نظير في العالم، فهذا باطلٌ؛ فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض، بل النوع الواحد منه؛ كإحياء الموتى: هو آية لغير واحد من الأنبياء.

وإن قيل إنّ بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها؛ كالقرآن، والعصا، والناقة، لم يلزم ذلك في سائر الآيات.

---

[14] النبوات ج1 ص172

ثمّ هب أنّه لا نظير لها في نوعها، لكن وجد خوارق العادات للأنبياء غير هذا، فنفس خوارق العادات معتادٌ جنسه للأنبياء، بل هو من لوازم نبوتهم، مع كون الأنبياء كثيرين؛ وقد روي أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ وما يأتي به كلّ واحد من هؤلاء، لا يكون معدوم النظير في العالم، بل ربما كثر نظيره وإن عني بكون المعجزة هي الخارق للعادة: أنّها خارقة لعادة أولئك المخاطبين بالنبوة؛ بحيث ليس فيهم من يقدر على ذلك، فهذا ليس بحجة؛ فإنّ أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة، والسحر، ونحو ذلك"[15].

فبين ﷺ أن مجرد ذلك مشترك بين الأنبياء وغيرهم كالكهان والسحرة، فدخل في التعريف غير الأنبياء وبذلك بطل الشرط.

3- أن كون الشيء معتادا أو غير معتاد أمر نسبي "فأهل كلّ بلدٍ لهم عادات في طعامهم، ولباسهم، وأبنيتهم، لم يعتدها غيرهم. فما خرج عن ذلك فهو خارق لعادتهم، لا لعادة من اعتاده غيرهم"[16].

غير أنه يجب التنبه أن الانتقادات السابقة تورد في حالة اشتراط مجرد خرق العادة في الآية أو المعجزة، قال شيخ الإسلام: " فلهذا لم يكن في كلام الله، ورسوله، وسلف الأمة، وأئمتها وصف آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة، ولا يجوز أن يجعل مجرد خرق العادة هو الدليل؛ فإنّ هذا لا ضابط له، وهو مشتركٌ بين الأنبياء وغيرهم. ولكن إذا قيل: من شرطها أن تكون خارقة للعادة؛ بمعنى أنها لا تكون معتادة للناس فهذا ظاهر يعرفه كل أحد"[17].

ثم إن أصحاب التعريف لما أدركوا الإلزامات التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية تفرقوا إلى طرفين؛

الطرف الأول: ما قاله المعتزلة من عدم تجويز خوارق العادات على يد غير الأنبياء، قال شيخ الإسلام: " والمعتزلة قبلهم ظنّوا أنّ مجرّد كون الفعل خارقاً للعادة، هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارقٍ إلاّ لنبيٍّ. والتزموا طرداً لهذا: إنكار أن يكون للسحر تأثيرٌ خارجٌ عن العادة؛ مثل أن يموت ويمرض بلا مباشرة شيءٍ. وأنكروا الكهانة، وأن تكون الجن تُخبر ببعض المغيبات، وأنكروا كرامات الأولياء"[18].

---

[15] النبوات ج1ص172
[16] النبوات ج1ص173
[17] النبوات ج1ص173
[18] النبوات ج1ص484

يقول القاضي عبد الجبار: إن العادة لا تخرق إلا عند إرسال الرسل، ولا تخرق لغير هذا الوجه؛ لأن خرقها لغير هذا الوجه يكون بمنزلة العبث[19].

وقال عبد القاهر البغدادي عنهم:"وأنكرت القدرية كرامات الأولياء لأنهم لم يجدوا في بدعتهم ذا كرامة"[20].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في النبوات أن الذين أنكروا الكرامات هم المعتزلة، وابن حزم، وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو محمد بن زيد، ورد عليهم في الكتاب نفسه وفي كتاب شرح الأصفهانية، كما أورد السبكي في طبقات الشافعية شبهاتهم ورد عليها.

الطرف الثاني: أثبتوا الخوارق لغير النبي ونفوا أن يقرن بدعوى النبوة، قال الجويني: "فإن المعجزة لا تدل بعينها، وإنما لتعلقها بدعوى النبوة"، وقال أيضا: "جنس المعجزة يقع من غير دعوى وإنما الممتنع وقوعه على حسب دعوى الكاذب"[21]، وبهذا القول أيضا يقول الباقلاني في البيان، وتفصيل هذا يطول، غير أني أذكر إلزاما عقليا ودليلا حسيا يكفيان لإبطال هذا القول:

الدليل الحسي:

وهو أنّه قد ادّعى جماعةٌ من الكذّابينَ النبوّة، وأتوا بخوارق من جنس خوراق الكُهّان والسحرة، ولم يعارضهم أحدٌ في ذلك المكان والزمان، وكانوا كاذبين؛ فبطل قولهم إنّ الكذّاب إذا أتى بمثل خوارق السحرة والكهان، فلا بد أن يمنعه الله ذلك الخارق، أو يُقَيِّض له من يعارضه وهذا كالأسود العنسيّ الذي ادّعى النبوّة باليمن في حياة النبيّ ﷺ، واستولى على اليمن، وكان معه شيطانان؛ سُحَيْق، ومُحَيْق. وكان يخبر بأشياء غائبة من جنس أخبار الكهان، وما عارضه أحدٌ. وعُرف كذبه بوجوه متعدّدة، وظهر من كذبه، وفجوره؛ ما ذكره الله بقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلى كلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

وكذلك مسيلمة الكذاب، وكذلك الحارث الدمشقي، ومكحول الحلبي، وبابا الرومي، لعنة الله عليهم، وغير هؤلاء؛ كانت معهم شياطين كما هي مع السحرة والكهان[22].

---

[19] رسائل العدل والتوحيد ص 237
[20] أصول الدين ص175
[21] انظر: الإرشاد ص319 وص328
[22] النبوات ج1 ص498

الإلزام العقلي:

من المعروف عند الأشاعرة أنهم ينفون الحكمة والتعليل من أفعال الله تعالى، فقال لهم: قد يأتي من يخرق العادة ويدعي النبوة.

فيقولون: لا يمكن أن يقترن هذا بهذا وإلا بطلت النبوة.

فيقال لهم: أن تجوزون فعل كل مقدور لأنكم تنفون الحكمة والتعليل عن أفعال الله تعالى، وخلق الخارق مع دعوى النبوة على يد الكذاب مقدور، فبطلت دعواكم، فيلزمكم أن تتراجعوا عن إحداهما، وفي هذا الدليل كفاية لإلزامهم، وسيأتي مزيد تفصيل في نقد الشرط الثاني.

نقد شرط التحدي:

والانتقادات على هذا الشرط نجملها فيما يلي:

1- اشتراط التحدي ليس عليه دليل: وقد شق عليهم هذا الاعتراض حتى وجد بعضهم[23] مخرجا، فقال : "التحدي لا يوجد في معنى المعجزة غير أن الصواب أن نقول: تحداهم فأعجزهم، لذلك فالصواب اشتراط التحدي في المعجزة، ولم أجد من سبقه إلى هذا القول، وبيان بطلانه كما يلي:

ذكر العلامة محمد الأمين الشنقيطي[24] من شروط المعرف أن يكون مطردا منعكسا، والطرد هو المنع، والعكس هو الجمع.

ويجب أن تعلم أولا أن الطرد في الاصطلاح هو الملازمة والثبوت، وقضيته: **كلما وجد الحد وجد المحدود،** فإن صدقت قضيته لزم منع غير المحدود من الدخول قطعا، وإيضاحه أن النسبة بين الحد والمحدود إن كانت المساواة كان جامعا مانعا كتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق، وإن كان الحد أعم من المحدود كان جامعا غير مانع كتعريف الإنسان بأنه الحيوان، وإن كان الحد أخص من المحدود كان مانعا غير جامع، كتعريف الحيوان بأنه الناطق، فإنه مانع من دخول غير الحيوان؛ إذ لا ناطق إلا وهو حيوان، ولكنه غير جامع لأن من أفراد الحيوان ما ليس بناطق.

واشتراط التحدي في حد المعجزة من جنس الحالة الثالثة؛ أي أن الحد أخص من المحدود؛ فالقول إن المعجزة "هي ما كان متحدى به" مانع من دخول غير

---

[23]هو بعض دكاترة كليتنا، ولم أجد في المصادر ذكرا لهذا القول.
[24]انظر: آداب البحث والمناظرة لمحمد أمين الشنقيطي ص60 وما بعدها



المعجزة؛ إذ لا متحدى به إلا وهو معجزة، ولكنه غير جامع لأن من أفراد المعجزة ما ليس متحدى به، وهذا كثير في آيات الأنبياء وخاصة نبينا ﷺ.

وأصل الخلل أن المشترطين لهذا الشرط نظروا إلى أعظم معجزة وهي القرآن الذي تحدى به الله تعالى المشركين، ووضعوا له تعريفا منطبقا عليه وهو: "الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة"، ثم جعلوه هو تعريف المعجزة فلم يعم باقي آيات النبي ﷺ، فكان مانعا غير جامع، وحين تطبيق هذا التعريف على الآيات بدؤوا بإخراجها واحدة واحدة من حيز المعجزات، وإن أطلق عليه اسم المعجزة فمن باب التجوز[25].

ثم إن بعضهم قسم الآيات إلى معجزات فخصها بالكفار، وإلى آيات غير متحدى بها وخصها بالمؤمنين، وهذا التقسيم باطل يرده قول النبي ﷺ من حديث أبي هريرة: " مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه البخاري.

فقوله: البشر. عم كل مخلوق ولم يخص المؤمن أو الكافر، فهي تدخل الكافر في الإسلام وتزيد المؤمنين إيمانا، والله أعلم.

2- أكثر معجزات النبي ﷺ كانت بلا تحد، بل لم يتحد بغير القرآن، قال شيخ الإسلام:" ومما يلزم أولئك أنّ ما كان يظهر على يد النبيّ ﷺ في كل وقت من الأوقات ليست دليلاً على نبوّته؛ لأنّه لم يكن كلما ظهر شيءٌ من ذلك احتجّ به، وتحدّى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصّة، ولا نُقل التحدي عن غيره من الأنبياء."[26] وقد سبق في الاعتراض السابق الإشارة إلى هذا.

3- جعل الأشاعرة دلالة المعجز دلالة وضعية، لا عقلية[27]، وذلك بناء على أنه يشترط الاستدلال بالمعجزة على النبوة، قال الباقلاني: "يجب أن تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن: يدعوا فيها أنها من دلالتهم وآياتهم"[28]، والتحقيق أن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته وإن خلت عن هذين القيدين، وهذا كإخبار من تقدم

[25] كما فعل بعض دكاترة كليتنا حين أخرج حادثة شق البحر لموسى عليه السلام من حيز المعجزات.

[26] النبوات ج1 ص541

[27] انظر: النبوات ج1 ص 229

[28] إعجاز القرآن للباقلاني ص 251

بنبوة محمد ﷺ؛ فإنه دليل على صدقه وإن لم يعلم هو بما أخبروا به ولم يستدل به، وأيضا فما كان يظهره الله على يديه من الآيات مثل تكثير الطعام والشراب مرات كنبع الماء من بين أصابعه غير مرة، وتكثير الطعام القليل حتى كفى أضعاف من كان محتاجا إليه وغير ذلك كله من دلائل نبوته ولم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا يتحدى بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها، وكذلك إلقاء الخليل في النار إنما كان بعد نبوته ودعائه لهم إلى التوحيد، "فالدليل الدالّ على المدلول عليه، ليس من شرط دلالته استدلال أحدٍ به، بل ما كان النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم، فهو دليل، وإن لم يستدلّ به أحدٌ؛ فالآيات أدلةٌ وبراهين تدلّ سواءٌ استدلّ به النبيّ، أو لم يستدلّ. وما لا يدلّ إذا لم يُستدلّ به لا يدلّ إذا استدلّ به، ولا ينقلب ما ليس بدليلٍ دليلاً إذا استدلّ به مدّعٍ لدلالته."[29]

نقد شرط عدم المعارضة:

وهي ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة، أو ألا يظهر بين المرسل إليهم ذلك الخارق المعجز على يد غير نبي.[30]

قال شيخ الإسلام: "وأما قولهم: خاصّة المعجز عدم المعارضة: فهذا باطلٌ، وإن كان عدم المعارضة لازماً له، فإنّ هذا العدم لا يعلم، إذ يمكن أن يعارضه من ليس هناك إذا كان مما يعلم أنّه معتاد؛ مثل خوارق السحرة، والكهان؛ فإنّه وإن لم يمكن أن يُعارض في هذا الموضع، ففي السحرة والكهان من يفعل مثلها، مع أنه ليس بنبي؛ فالعنسي، ومسيلمة لم يعارَضا في مكانهم، ووقت إغوائهم.

وإن قال: لا يُعارَض البتة. فمن أين يعلم هذا العدم؟"[31]

الفرع الثاني: التعريف الصحيح عند أهل السنة.

بعد البحث والتفتيش وجدت أمثل تعريف هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من أن آية الأنبياء أو ما يسمى بالمعجزة هي: **الخوارق التي تخرق عادة جميع الثقلين**؛ فلا تكون لغير الأنبياء، ولغير من شهد لهم بالنبوة. وهذا كلامٌ صحيحٌ فصلتم به بين آيات الأنبياء، وغيرهم بفصلٍ مطّرد منعكس، بخلاف من قال: هي خرق العادة، ولم يُميّز بينها وبين غيرها، وتكلّم في خرق العادة بكلامٍ متناقضٍ؛ تارة يمنع وجود السحر والكهانة، وتارة يجعل هذا الجنس من الآيات، ولكن الفرق عدم المعارضة. لكن لم يذكروا الفرق في نفس الأمر، ونفس كونها معجزة.

---

[29] النبوات ج1 ص500
[30] إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء ص38
[31] النبوات ج2 ص775 و795

قد يقال: لماذا كان هذا التعريف هو الأمثل؟ وما هو الوصف الذي امتاز به حتى صارت الآية بهذا العريف دليلا دون غيره؟

فنقول: لا بُد أن تكون مما يعجز عنها الإنس والجن؛ فإنّ هذين الثقلين بُعث إليهم الرسل؛ كما قال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}

وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ}

والإنس والجنّ منهم من آمن بالرسل، ومنهم من كذّبهم، فلا بُد أن يكون مما لا يقدر عليها جنس الإنس والجنّ.

ثمّ الكرامات يخص بها المؤمنين من الطائفتين، وأمّا آيات الأنبياء التي بها تثبت نبوتهم، وبها وجب على الناس الإيمان بهم، فهي أمرٌ يخص الأنبياء، لا يكون للأولياء، ولا لغيرهم، بل يكون من المعجزات الخارقة للعادات الناقضة لعادات جميع الإنس والجن غير الأنبياء.

فما كان الإنس أو الجن يقدرون عليه، فلا يكون وحده آية للنبي.[32]

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

علي بن صالح سْميرة

رقم الهاتف: 0775592149

[32] النبوات ج2 ص863-864 بتصرف يسير

